الالسُنيّة الساميّة

واللَحم واللُقم

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

ابان العطلة التي قضيتها ، الصيف الفائر ، في بغداد وطني ، سنحت لي فرصة ، فنشرت كلمة وجيزة ، في اصل اسم « بيت لحم » في مجلة « لغة العرب » (الجزء السادس من السنة الخامسة صفحة ٣٣٥ وما يليها) وقد علق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم ، صاحب المجلة ، تعليقتين نقديتين ، على هذا المقال ، اولاهما في شأن استعمالي تعبيراً جديداً ، هو من وضعي الخاص ، للعلم المدعو في الفرنسية : Philologie comparée des langues sémitiques

وهو « المقابلة الألسُنيّة السامية » او بالاختصار « الألسنيّة السامية » من باب حذف الموصوف والاستغناء عنهُ بالوصف ، مما هو جارٍ في اللغة ؛ من ذلك قولنا : الداخلية ، الخارجية ، المالية ، بتقدير الوزارة او النظارة . وكقولنا : العربية ، الفرنسية ، الانكليزية ، باضمار اللغة . وكذلك : الشيوعية ، الاشتراكية ، والمضمون الطريقة او الدعاية او غيرها ؛ او الصوفية ، واليسوعية ، بتقدير الجماعة . اما النسبة الى الجمع فهي ايضاً من الامور الواردة في اللغة ، كقولك : الثيابي ، الدجاجي ، اللوكي وما اشبه . وحضرة الاب عينه قد اثبت مؤخراً صحة استعمالها ، في مجلته ، مستنداً الى سلطة ابن جني في اللغة . واليوم يعمد المترجمون او واضعو الالفاظ العصرية الى هذه النسبة ، لتأدية الكلمات الاجنبيّة التي تدخل فيها لفظة : Inter مثل International ؛ فقد تُرجمت بكلمة « دُوَلي » اذا كان العمل مشتركاً بين دول كثيرة . واما اذا كان الشأن بين

رجال ممثلين جميات من بلاد مختلفة ، دون ان يكون لحكوماتها دخل في العمل ، كقولك « Congrès philosophique international » فالاصح ان يستعمل لفظة « أممي » ولا « دولي » فيقال : « مؤتمر فلسفي أممي » وقد يقال ايضاً «الأممية» للتعبير عن كلمة «L'Internationale» الدالة على الطريقة الاشتراكية الشيوعية ؛ كما قيل في القديم « الشعوبية » لطريقة الشعوبيين

فطبقاً لهذه المبادئ ، صنعت هذا اللفظ الجديد ، لان هذا العلم ، علم مقابلة ألسن الساميين ، يدخل فيه لغات مختلفة ، توضع خواصها بعضها ازاء بعض للمقارنة واستنتاج النتائج العلمية منها ؛ مما يمكن الدلالة عليه بالنسبة الى الجمع . فقلت « علم مقابلة الالسنية السامية » ثم حذفت لفظتي العلم والمقابلة ، لإمكان الاستغناء عنها ، فبقيت «الالسنية السامية» . اما حضرة الاب فلم يرق في عينه هذا الوضع الحديث ، فكتب في الحاشية « هذا من وضع الاب صاحب المقال ، ونحن لا نوافقه عليه »

التعليقة الثانية : في شأن معنى « اللحم » في العربية . وهو ايضاً مما خالفني فيه حضرته . هذا واذ كانت الحقيقة بنت البحث ، استأذن حضرة الاب الاستاذ بالردّ على ما ابداه فاقول :

اما في صدد الاولى ، فلقد اخذني العجب من انه اكتفى بالقول : « ونحن لا نوافقه عليه » لاني ، مع ما لي من الاعتبار لشخصه الكريم ، وتقديري لمقامه وعلمه ، لا ارضى بهذا ، ولا تطاوعني النفس على العدول عن هذا الوضع الجديد — مع اني لست بمعصوم — ما لم يأتني بالبرهان ، الذي ازنه بميزان العقل والنقل . فان وجدت فيه ما يحملني على اليقين ، ايقنت ؛ والا فانا باقٍ على ما انا عليه من الراي

اما في شأن الثانية ، فقد جرى حضرته حسب الاصول المنطقية المرعية ، لانهُ اشفع القول بالدليل ؛ ولذا فها انا ذا اجيبهُ بالدليل :

ان النتيجة التي كان قصدي استخراجها مما ابديتهُ ، هي ان اصل اسم

« بيت لحم » ليس « بيت الخبز » وحسب ، كما يتبادر الى الذهن ، لاول وهلة ؛ بل ان « بيت » يجدر بهِ ان يُتخذ بمعنى الارض او البلد ؛ وان يُطلق على كلمة « لحم » مدلول « القوت » ؛ فيكون الناجم عن ذلك « بلد القوت » او « الارض المخصبة » كما يؤيد ذلك مرادفها « افراثة » ومعناه المخصبة في العبرية . وهذه النتيجة الصادرة عما جئت بهِ من الادلّة في المقال ، تبقى ثابتة لا تتغيَّر عندي ، سواء اتفقت او لم تتفق اللغات الساميّة الثلاث ، اي العربيّة والارمية والعبرية ، في تأدية « لحم » بمعنى الخبز

اما اذا حصرنا الجدال في كلمة « لحم » في العربية ، فاعيد هنا ، دون تردّد ، ما قلتهُ في مقالتي بحرفه وهو : « العبرية والارمية متفقتان في ما ضمنتاه في لفظهِ (اعني اللحم) من المعنى اي الخبز . اما العربية فتخالفها في تلك الدلالة . اذ ان كلمة « لحم » لا يراد بها الخبز ، بل هذه المادة المرنة الداخلة في تكوّن اجسام الحيوانات الصالح اكثرها لاكل البشر . » وحضرة الاب مضطر الى ان يقرّ بان كلمة « لحم » بحرف الحاء ، لا تدل على الخبز البتة في اللغة العربية . الّا ان رايه هو ان معنى الخبز قد انتقل فبقي في لفظة « اللقم » لان اللقم عنده مُبدل من اللحم . وان اللقم معناه الخبز او قل الطعام او قل البُرّ . وهذا ما لا يمكنني موافقة حضرة الاستاذ عليهِ . وها هي ذي ادلّتي :

ان اللقم مصدر او اسم مشتق من فعل لَقِم . والحال ان لقم ، على قول صاحب لسان العرب ، المستند اليه حضرته ، وعلى قول غيره من اهل الماجم الكبرى ، لا يُراد بهِ الّا نوعاً من الاكل ، اي ، حسب عبارة اللسان ذاته ، « سرعة الاكل والمبادرة اليهِ » . وهذه عبارة تاج العروس : « اللقم (بالتسكين) سرعة الاكل والمبادرة اليهِ . ولقِمه (كسمعه) لقماً ، جذبه بفيه (واكله سريعاً) ؛ والتقمه التقاماً ابتلعه في مهلة . » وهذا الثلاثي « لقِم » آتٍ من « لقَّ » الثنائي الدالّ على الاكل مطلقاً . لانه يقال : قمّت الشاة اي اكلت ما على الارض . وقمّ الرجل ، اذا اكل ما على الخوان . وقد توّجت اللام لفظ « قمّ » لايجاد فرق في المعنى ، اي السرعة والمبادرة . وهذا ما ينطبق على المبدأ اللغوي القائل « الزيادة في المبنى ، زيادة في المعنى . » وما احسن ما جاء بهِ Lane ،

صاحب المعجم العربي — الانكليزي الشهير ، نقلاً عن امهات المعاجم ، كالمختار ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والصحاح ، ودونك كلامه بنصه الانكليزي :

(لقم لقمةً) He gobbled a gobbet, or morsel or mouthful; or he swallowed the gobbet; he gobbled; ote it quickly;

(لقّمهُ الطعامَ) He *fed* him with the *food* by the *mouthful*; put it into his mouth by the *mouthful*; he fed him.

اما اللُقمة فزدادها ما يهيأ للقم سواء كان خبزاً ام لحماً ام بيضاً ام غيره مما يؤكل . كما ان الجرعة تطلق على كل ما يهيأ للشرب . هذا ما جاء في المعاجم ، ودونك كيف أدّاه Lane :

(لُقمة) A morsel, gobbet or mouthful. Wath is swallowed or eaten at once of bread, etc. like جُرعة signifies wath is swallowed at once in drinking ; or wath is prepared to he swallowed or eaten quickly at once.

(تلقّم اللقمة) He swallowed the gobbet or morsel or mouthful in leisurely maner.

والّا فاذا كان « اللقم » يدل على الخبز ، لانك تجد في لسان العرب : « لقمت الطعام » لكان « الاكل » ايضاً خبزاً ، لانك ترى في اللسان عينه ، في مادة (ا ك ل) هذه العبارة : « اكلت الطعام اكلاً » ولكان « الخطّ » ايضاً بمعنى الخبز ، لانك تقرأ في المعاجم « خطّ الطعام : اكله قليلاً » . ولجاء « الكشب » بمعنى اللحم لانه يقال : « كشب اللحم اي اكله اكلاً شديداً . » اما قولك انه تستعمل اللقمة للخبز . فان عنيت الخبز فقط ، فهو مردود ، لان اللقمة ما يهيأ للبلع سواء كان خبزاً ام غيره . كما ان الكسرة هي القطعة من الشيء المكسور فيقال : كسرة من الخبز . فكذلك يقال : لقمة من الخبز ، لقمة من اللحم ، لقمة من البيض

على ان حضرة الاب استند كل الاستناد الى كلمة « الطعام » الواردة في عبارة اللسان : لقمتُ الطعامَ . . . فقال « وانت تعلم ان الطعام اكثر ما ورد

معناه لما نسميه الحبوب ، ولاسيما الحنطة . وهذا المعنى معروف الى يومنا هذا في العراق . قال في لسان العرب : واهل الحجاز (وعن بعضهم اخذ لسان العرب) اذا اطلقوا اللفظ بالطعام ، عنوا به البرّ خاصة . وفي حديث سعيد : كنا نخرج صدقة الفطر عن عهد رسول الله (ص) صاعاً من طعام وصاعاً من شعير . قيل اراد به البُر ، وقيل التمر ، وهو اشبه ، لان البُر كان عندهم قليلاً ، لا يتّسع لاخراج زكاة الفطر . وقال الخليل : العالي في كلام العرب ان الطعام هو البُر خاصة . »

قلت : افتح ايها القارئ اللبيب ، لسان العرب ، وهو حجة حضرة الاب ، واكشف مادة (ط ع م) ترَ اول عبارة تلقاها : « الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل » ثم بعد سطور ، هذه الاخرى : « قال ابن الاثير : الطعام عام في كل ما يتقات من الحنطة ، والشعير ، والتمر ، وغير ذلك » وقال في شرح الشفاء : « الطعام ما يؤكل ، وما به قوام البدن ؛ ويطلق على غيره مجازاً . » فمدلول الطعام اذن من اصل وضعه هو كل ما يؤكل ، لان فعل طعم مرادف لأكل . واذا اطلق على الحبوب وغيرها ، كان ذلك من قبيل المجاز . وهو ظاهر من الحديث الذي استشهد به . فان الطعام هناك يراد به التمر اكثر من البر ، والسبب (لان البُرّ كان عندهم قليلاً) . وهذا جاء مؤيداً لما ابديته في مقالتي من قلة الحبوب عند العرب ، لكونهم اصحاب ماشية ، ولا ارباب زراعة . على انه اذا اتخذ حضرته اهل الحجاز حجة لرايه ، فانا استند الى « كتاب الحجاز » ، اي « القرآن » ، وهو اقوى الاسانيد للغة العربية . فقد وردت كلمة الطعام وفعلها ومشتقاته نحو خمسين مرة في مختلف سور المصحف . وفي كل هذه المواطن لا يظهر معنى الطعام الّا بجدّه العام ، المذكور في شرح الشفاء ، اي ما يؤكل وما به قوام البدن ؛ ولا بمعنى البرّ ، او الحنطة ، او الشعير ، او التمر ، من باب التخصيص . دونك ، على طريق المثال ، شيئاً مما جاء في بعض السور : (احزاب : ٥٣) « فاذا طعمتم فانتشروا . » (يس : ٤٧) « لو يشاء الله اطعمه » (انعام : ١٤) « وهو يُطعِم ولا يطعَم » (قريش : ٤) « الذي اطعمهم من جوع » (الدهر : ٩) « انما نطعمكم لوجه الله » (فرقان : ٧) « الرسول ياكل الطعام » (بقرة : ٢٥٩) « فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه » وقد فسّر الطبري هذه الآية الاخيرة

بما يأتي : « وكان طعامه سلة تين وعنب » وورد كذلك في (سورة آل عمران : ٩٣) « كل الطعام كان حلًا لبني اسرائيل ، الّا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة » وقد شرح الطبري هذه الآية بالحديث النبوي الآتي : « حدّث ابن عباس قال : ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله (ص) فقالوا : يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرّم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله (ص) : انشدكم بالذي انزل التوراة على موسى ، هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً ، فطال سقمه منه فنذر لله نذراً ، لئن عافاه من سقمه ، ليحرّمن احب الطعام والشراب اليه . وكان احب الطعام اليه لحمان الابل ، واحب الشراب اليه البانها . فقالوا : اللهم نعم . » وجاء ايضاً في حديث لابن عباس : « ان اسرائيل عرضت عليه الأنساء ، فأضنته . فجعل لله عليه ، ان شفاه الله منها ، لا يطعم عرقاً . قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم . » فاين معنى البُر او الحنطة او الخبز لكلمة الطعام ، في « القرآن » ؟ هذا لا يعني اني انكر ان الطعام يطلق على البُر في كلام اهل الحجاز والعراق . لكن رأيي هو انه مستعمل من باب المجاز ، ممّا يُعرف من القرائن . ففي كلامنا ، نحن العراقيين ، اذا قلنا : « حضر الطعام ، قوموا ناكل » عنينا بالطعام ما اعد للاكل ، من الطبيخ او غيره ، خبزاً كان ام جبناً ام تمراً . لكن اذا قلنا « ان الرجل الفلاني من تجار الطعام » فهمنا انه من المتعاطين بيع الحبوب ، ولاسيما الحنطة والشعير . هذا وهب اننا سلّمنا لحضرة الاستاذ بان الطعام لا يدل الّا على الحنطة ، لا بل على الخبز عينه ، فماذا ينجم عن هذا ؟ اينجم ان « اللقم » معناه الحنطة والخبز ؟ كلا ثم كلا . لان الذي ظهر من الادلة المتقدمة ان « اللقم » لا يُراد به في العربية سوى صفة من صفات الاكل ، وهي « السرعة والمبادرة اليه » ولا المادة المعدة للاكل

اما قول حضرة الاب ان اللقم مبدل من اللحم ، ففيه نظر ؛ لاننا اذا استقرينا الالفاظ التي يجري فيها الابدال ، رأينا انها تبقى مترادفة في المعنى . على ان الابدال ، كالقلب ، ليس ينشأ الّا عن اختلاف اللغات في القبائل . وهذا ما قاله ابو الطيب في كتابه : « ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض

حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين ، لمعنى واحد حتى لا يختلفا الّا في حرف واحد . والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة ، وبالسين مرة اخرى . وكذلك ابدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدّرة عيناً ، كقولهم في نحو : أنّ ، عنّ ؛ لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، انما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون . » (انتهى)

وها انا ذا آتيك ببعض الامثلة على ذلك :

ابدال الهمزة هاء : أياك وهياك

« « عيناً : كتأ وكتع اللبنُ : اذا علا دسمه

« « واواً : أرّخ وورّخ — أكد ووكّد

« الباء ميماً : الظأب والظأم : سِلف الرجل

« التاء طاء : الأقتار والأقطار : النواحي

« الثاء فاء : الحثالة والحفالة : الرديء من كل شيء

« الحاء هاء : قحل وقهل جلدُه : اي يبس

« الحاء عيناً : بحثر وبعثر : بدّد

« الزاء صاداً : زمزمة وصمصمة : جماعة

« الدال لاماً : المكرود والمكرول : المحبوس

« الميم نوناً : النيم والنين : السحاب (١

وكذلك الامثلة التي اتى بها حضرة الاب للدلالة على ابدال الحاء قافاً ، منها تبحر وتبقر ؛ الحفاوة والقفاوة ؛ حرش وقرش . ففي جميعها المعنى واحد في كلا المبدلين ، طبقاً لما جاء املاه في قول ابي الطيب : « انما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة . » فاذا فرضنا ان اللحم مبدل من اللقم ، فاين معناهما الواحد ، او مدلولاهما المتقاربان ؟ وفي العربية كما هي اليوم بين ايدينا ، متى يا ترى جاء اللحم ، على لفظه بحرف الحاء ، بمعنى الخبز ؟ ثم اذا كان الامر متوقفاً على الابدال ، فانا ارى الاوفق جعل « الـلأم » وهو البلع ، اي نوع من الاكل بمعنى الخبز ، فانه

١) راجع فصل الابذال في كتاب المزهر للسيوطي

اقرب الى اللحم من اللقم ، لكون الهاء والحاء من مخرج واحد ، ويكثر تعاورهما في اللغة . لكن لا اللَّهم ولا اللقم مما يدل على الخبز

زد على ذلك ان الابدال الذي استشهد به حضرة الاب المفضال هو من داخل اللغة العربية ، وظاهر من مقابلة خواصها بعضها ببعض . والحال ان المقارنة التي نحن في صددها جارية بين « لَحْم » و « لَحْما » من جهة ، وبين « لَحْم » من جهة اخرى ؛ اي بين لغات سامية مختلفة ، قائمة كل منها بذاتها ، ولها خواصها ، وقد افترقت الواحدة عن الاخرى ، منذ عشرات من القرون ؛ وليس بين لهجات ، او لغات ، داخلة ضمن دائرة لغة معلومة ، محدودة ، مثل العربية . والذي يزاول « الألسنية السامية » يعرف حقيقة ذلك ، اذ يطّلع على طريقة الابدال في تلك الالسن

الخلاصة عندي هي ان « اللحم » بالحاء ، لا يدل على الخبز ، او البُر ، او الطعام ، في اللغة العربية ، كما وصلت الينا ، وهي اليوم بين ايدينا . وان « اللقم » العربية ليست بمبدلة من « لَحْم » العبرية ، او من « لَحْما » الارمية ، وانها لا تطلق على الخبز ولا على الطعام ولا على البُر . انما معناها : طريقة من طرائق الاكل او صفة من صفاته وهي « السرعة والمبادرة اليه » وان كلمة « لحم » بعد ان كان معناها ، في السامية القديمة ، « القوت » تقيدت عند العبريين ، والارميين ، بالدلالة على الخبز او البُر ؛ وحصرت ، عند العرب ، بمدلول اللحم ، اي المادة المعروفة ؛ وهو ايضاً ، اي اللحم ، قوت كثير استعماله ، كاستعمال الخبز ، عند البشر عامة ، وعند الساميين خاصة

هذه هي الادلة التي حملتني على عدم قبول نقد حضرة الاب الاستاذ المفضال . ولذا فانا باقٍ على رأيي ، وله الاستمرار على نظره العالي . هذا وانا على يقين ان ما جاء به من النقد ، وما اتيتُ به من الردّ ، لأبعد من ان يكون سيئ الاثر في ما بيننا من الصلات الوثيقة المرى ، صلات الصداقة ، والوطنية ، والغيرة على اللغة العربية . وعسى ان يكون هذا البحث كمثال يرى فيه ابناء اللغة خطورة « الالسنية السامية » وفوائدها الجمة ، فيميل الى درسها من يشعر في نفسه بالذوق والجدارة لمثل هذه العلوم ، والسلام.